السند التاريخي للأصول اللغوية في كتاب المحتسب لابن جني

م. د ليلى علي فرج علي
وزارة التربية/ المديرية العامة للمناهج/ بغداد - العراق
layaaljaa824@gmail

الملخص:

يوثِّــق البحث معرفة العــرب القدامــى بالأصول اللغويــة الأولى التي اشــتركت بها اللغة العربية مع نظيراتها من اللغات الســامية، وأثبت تماثل الأصــول اللغوية التي عرضها ابن جني في كتابه المحتســب في تبين وجوه شــواذ القراءات مع الأصول اللغوية التي جاءت في اللغات القديمة التي نقلتها لنا الوثائق التأريخية لهذه اللغات؛ ولذا يمكن عدّ كتاب المحتســب ركيزة من الركائز المتينة التي يســتند عليها الباحثون في الدراسات اللغوية الحديثة، فضلًا عــن دوره في إثبات أقدمية اللغــة العربية على أخواتها من اللغات السامية.

الكلمات المفتاحية: السند التاريخي – الأصول اللغوية – ابن جني.

The historical support for linguistic origins in the book Al - Muhtasib by Ibn Jinni

M. Dr. Layla Ali Farag Ali، the scientific rank is a teacher

Place of work: Ministry of Education General Directorate of Curricula

Email laylaaljaa @gmail

Summary:

The joggle documents the knowledge of the ancient Arabs about the first linguistic origins that the Arabic language shared with its counterparts from the Semitic languages. The research proved the similarity of the linguistic origins that Ibn Jinni presented in his book Al - Muhtasib in Explaining the Faces of Anomalies in Readings with the linguistic origins that came in the ancient languages that were transmitted to us by the historical documents of these Languages; Therefore, Al - Muhtasib's book can be considered one of the solid rakizas upon which researchers rely in modern linguistic studies, in addition to its role in proving the primacy of the Arabic language over the Semitic languages.

key words: Historical document: – linguistic origins – ibn Jinni.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف خلق الله أجمعين محمد، وعلى آل محمد الطاهرين، وعلى صحبه وسلّم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد... إن كتاب المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها لابن جني الذي بين أيدينا ومدار بحثنا، هو كتاب غني عن التعريف، فهو كتاب

عــرض القراءات القرآنية بكثير من التدبــر والتفكر من منظور لغوي أضاف فيه ابن جني بصماته اللغوية ولا ســيما الصرفية منها، عبر التأصيل اللغوي للقراءات القرآنية.

صاحب هذا الكتاب علم من أعلام اللغة، يشــغل مركــزًا من مراكز الصدارة بين علماء اللغة، والبحث في نشــأتها، جعل الكتاب أداة طيعة في يد جمهرة من القراء وعامة الباحثين في مجال القراءات والدراسات اللغوية، الأمر الذي دفعني إلى دراسته والتعمق فيه.

إذ اتبعــت فيه منهجًا حاولت الالتزام به قدر الإمكان، هو ذكر رأي ابن جني في القــراءات القرآنية، وحججه التي اتكأ عند عرضها على الأصل اللغوي، ثم أشــير إلى ما يماثل هذا الأصل في اللغات الســامية، منها الأكديــة، والعبرية، والسريانية، والآرامية، والمندائية، والحبشية، وغيرها من اللغات.

ابتدأت البحث بتمهيد عرفت فيه عن ابن جني وكتابه المحتســب، ثم عرضت مجموعــة من الأصول اللغويــة التي خصها ابن جني بالبحــث والعرض والتأمل، مسبوقة بالحديث عن ابن جني واستعانته بالأصل اللغوي في دراساته المختلفة.

بغيت مــن البحث اثبات أصالة اللغة العربية من بــين أخواتها، ومعرفة العلماء العرب القدامى باللغات السامية القديمة على الرغم من عدم تعمقهم في تفاصيلها، والموازنة بينها وبين العربية، ومن ثم جعلها مصدرًا للمشتغلين بالدراسات السامية والتاريخ القديم؛ حرصًا منا على عدّها ســندًا من الأســانيد التاريخية التي تدلّ على أصالة العربية من بين أخواتها؛ كي يعتمد عليها المختصون إلى جانب الآثار القديمة، واللوح الطينية، والوثائــق التاريخية؛ ليجدوا فيها بغيتهم، ويقعوا فيها على طلبتهم، وأجدرا بنا أن نجعل لها نصيبًا وافرًا من الدراسات السامية.

وأملي كبير في أن يكون هذا العمل المتواضع اسهامًا في دراسة الأصول اللغوية في

متون أمّات الكتب اللغوية.

التمهيد:

- التعريف بابن جني:

هو أبو الفتح عثمان بن جني النحوي الأزدي بالولاء، ولد سنة 334هـ، كان أبوه روميًّا مملوكًا لسليمان بن فهد بن أحمد الأزدي من أعيان الموصل (ابن جني، 2000م، صفحة 7) ت 392هـ، وجني – بإسكان الياء – معرب كني، وليس منسوبًا، ومعناه في العربيـــة: فاضل، كريم، نبيل، جيد التفكير، عبقري، مخلِص (ابن جني ت 392هـ أ.، 1966 – 1969م، صفحة 5)، أخرج لنا فيضًا من المؤلفات الكثيرة في الدراســات اللغوية التي تجاوزت الخمسين كتابًا في فروع اللغة المختلفة، يضيق المقام عن ذكرها، فنكتفي بالإشــارة إلى بعض كتبه التي تهم القارئ والباحث في الدراسات اللغوية، منها:

1 – الخصائص.

2 – المنصف.

3 – سر صناعة الإعراب.

4 – المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها.

- كتاب المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها:

أوحي إلى ابن جني تأليف هذا الكتاب بعد أن ألف شــيخه أبو علي الفارسي ت ســنة 377هـ (كتاب الحجة في الاحتجاج للقراءات الســبعة)، فكأنما كان في حينها تأليف القراء الكتب في جمع القراءات، ونسبتها، والبحث عن أسنادها؛ داعيًا لعلماء اللغة أن يؤلفوا الكتب في الاحتجاج لها، فقد مُهدت هذه المؤلفات أمامهم السبيل، ومُدت لهم الأسباب، فكان جمع القراءات الخطوة الأولى، والاحتجاج لها هي الخطوة

التالية ينظر: (ابن جني ت 392هـ أ.، 1966 – 1969م، صفحة 1/ 10)؛ ولهذا السبب ألّف ابن جني كتابه (المحتسب) في الاحتجاج لشواذ القراءات، وألّفه عندما عَلَت به السن، وأشرف على نهاية العمر ينظر: (ابن جني ت 392هـ أ.، 1966 – 1969م، الصفحات 1/ 12 – 13).

قد بُيَّن في مقدمة كتابه المنهج الذي اتبعه في عرض القراءات، فالمنهج الذي اتبعه في المحتسب كمنهج الفارسي في الحجة، لا يكاد يخالفه إلا بمقدار ما تقتضيه طبيعة الاحتجاج لقراءة الجماعة، والقراءة الشاذة، فأبو الفتح يعرض القراءة، ويذكر مَن قرأ بها، ثم يرجع في أمرها إلى اللغة، يلتمس لها شاهدًا فيرويه، أو نظيرًا فيقيسها عليه، أو لهجة فيردها إليها ويؤنسها بها، أو تأويلًا أو توجيهًا فيعرضه في قصد وإجمال، أو تفصيل وافتنان، بحسب ما يقتضيه المقام، ويتطلبه الكشف عن وجه الرأي في القراءة ينظر: (ابن جني ت 392هـ أ.، 1966 – 1969م، صفحة 1/ 12).

زخر المحتسب بكثير من الشواهد والتوجيهات، وألوان من الآراء والبحوث اللغوية والصوتية، التي تدل على الغزارة والتمكن، وعلى شمول الإحاطة، ودقة الملاحظة، وبراعة القياس، وصحة الاستنباط (ابن جني ت 392هـ أ.، 1966 – 1969م، صفحة 1/ 13)، وأفاد ابن جني في الاحتجاج للشواذ من لهجات القبائل، يرجع إليها ويُخرّج على مقتضاها (ابن جني ت 392هـ أ.، 1966 – 1969م، صفحة 1/ 18).

كان البحث في الأصل اللغوي هو القاعدة الأساسية التي تستند عليها أمّات كتب ابن جني في دراسة فروع اللغة من صرفها، ونحوها، وفقهها، وتبين القراءات القرآنية في أشهر مؤلفاته، منها (اللمع، والمنصف، الخصائص، سر صناعة الاعراب، المحتسب)، وفصل القول عن أصل اللغة في كتاب الخصائص عندما خصّه بباب سمّاه: (باب القول على أصل اللغة أإلهام هي أم اصطلاح)، نجده يقول فيه: (هذا موضع محوج إلى فضل تأمل غير أن أكثر أهل النظر على أنّ أصل اللغة إنما هو

تواضـــع واصطلاح لا وحي وتوقيف؛ إلا أنّ أبـــا علي رحمه الله قال لي يومًا: هي من عند الله واحتج بقوله سبحانه: ﴿وَعَلَّمَ آَدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ (البقرة: 31)، وهذا لا يتناول موضع الخـــلاف؛ وذلك أنّه قد يجوز أن يكون تأويله: أقدر آدم على أنّ واضع عليها وهذا المعنى من عند الله ســـبحانه لا محالة، فإذا كان ذلك محتملًا غير مستنكر سقط الاســـتدلال به) (ابن جني ت 392هـ، الخصائص، بلا تاريخ، الصفحات 1/ 41 – 42)، واســـتند في أصل اللغة على تفســـير الآية الكريمة القائل: بأنّ الله سبحانه علم آدم أسماء المخلوقات جميعها باللغات المختلفة منها: العربية، والفارسية، والسريانية، والعبرية، والرومية، وغير ذلك من ســـائر اللغات، فكان آدم وولده يتكلمون بهذه، ثم إنّ ولـــده تفرقوا في الدنيا، وعلق كل منهم بلغة مـــن تلك اللغات؛ فغلبت عليه واضمحل عنه ما ســـواها لبعد عهدهم بها ينظر: (ابن جني ت 392هـ، الخصائص، بلا تاريخ، صفحة 1/ 41)، ومذهبه هذا هو مذهب شـــيخيه أبي الحسن الأخفش ت 258هـ، وأبي علي الفـــارسي ت377هـ، وهذا المذهب هو ما ذهب إليه أكثر الباحثين المحدثين وكذلك كثير من المســـتشرقين، في دراســـاتهم لإثبـــات القرابة اللغوية بين العربية واللغات القديمة ولا ســـيما من أخواتها الســـاميات؛ ولعلهم قد أخذوا من رأي ابن جني منطلقًا لدراساتهم وبحوثهم في هذا الصدد.

ذكر ابن جني في الباب نفســـه – باب القول في أصـــل اللغة – أنّ بعضهم ذهب إلى أنّ أصل اللغات كلها إنّما هو من الأصوات المســـموعات كدوي الريح، وحنين الرعد، وخرير الماء، وشحيج الحمار، ونعيق الغراب، وصهيل الفرس، ونزيب الظبي ونحو ذلك، ثم ولدت اللغات عن ذلك فيما بعد (ابن جني ت 392هـ، الخصائص، بلا تاريخ، الصفحات 1/ 47 – 48)، وأيد ابن جني هذا المذهب بقوله: (هذا عندي وجه صالـــح ومذهب متقبل) (ابن جني ت 392هـ، الخصائص، بلا تاريخ، صفحة 1/ 48).

أمّا في كتابه المحتســـب فنجد ابـــن جني يعرض فيه طائفة مـــن أصول العربية،

وقواعدهـــا العامة لغوية كانت، أو نحوية، أو عروضية، دعته دواعي الاحتجاج إلى ذكرها، وتأييد الرأي إلى إيرادها في مواطن شـــتَّى من كتابه (ابن جني ت 392هـ أ.، 1966 – 1969م، صفحة 1/ 18)، ولم يستغن ابن جني في أغلب الأحيان عن الأصل اللغوي في أثناء عرضه للمســـائل اللغوية بأنواعها المختلفة، فعندما يعرض لمســـألة ما، نجده يحتكم في حججه وتعليلاته إلى الأصل في معظم كتاباته، وأمثلتها كثيرة في مؤلفاته التي ذكرنها مسبقًا، الامر الذي جعلنا نفكر في وضع موضوع بحثنا هذا، فقد ذُكرت في أغلب احتجاجاته عبارات تدل على احتكامه إلى الأصل اللغوي ومنها ما وجدناها في كتابه المحتســـب، نحو: (وأصل ذلك، وعلى الأصل، فهي الأصل، إنّه هو الأصل، وأصله، وأصل قولنا...) وغيرها.

وفيـــما يلي بعض القراءات التي احتج ابن جني بالأصل اللغوي في أثناء عرضها، التي خصّها بحثنا بالدراسة، والبحث، والتأصيل في اللغات السامية، وهي:

- الأصل في إبدال الهمزة ياء:

ذكر ابن جني في قراءة لفظة (أَنْبِهِمْ) في قوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ﴾ (البقرة: 33)، ثلاث قراءات، منها قراءة الحســـن رحمـــه الله: «أَنْبِهِمْ» بوزن أَعْطِهِم، ورُوي عنـــه، أيضًا: «أَنبيهُـــمُ» بلا همز، وقراءة ابـــن عامر: «أَنْبِئْهِـــم» بهمز وكسر الهـــاء، (ابن جني ت 392هـــ أ.، 1966 – 1969م، صفحة 1/ 66)، يقول أبو الفتح: (أما قراءة الحســـن: «أَنْبِهِمْ» كأعطهم، فعلى إبدال الهمزة ياء عـــلى أنه يقول: أَنْبَيْتُ كأَعْطَيْـــتُ، وهذا ضعيف في اللغة؛ لأنه بدل لا تخفيف، والبدل عندنا لا يجوز إلا في ضرورة الشـــعر) (ابن جني ت 392هـ أ.، 1966 – 1969م، صفحة 1/ 66)، ويجوز ابن جني قراءة: «أَنْبِهُم» على أصـــل حركة الهاء وهو الضم، وأما قراءته على الرواية الأخرى: «أَنبيهُم» فهو على قياس التخفيف الصريح ينظر: (ابن جني ت 392هـ أ.، 1966 – 1969م، صفحة 1/ 67)، فكأن الهمزة حاضرة؛ لأنّها هي الأصل (ابن جني

ت 392هـ أ.، 1966 – 1969م، صفحة 1/ 68).

الهمزة أصل في أقدم اللغات السامية إلا إنّها لجأت إلى حذفها أو إبدالها في بعض المواضع كالعربية تخفيفًا، مثال ذلك إبدالها إلى ياءٍ في كثير من ألفاظها، مثل: (yat) بدلا من (et>) في آرامية العهد القديم، وفي الأمهرية يصبح الفعل (ahazu>) – (a>azu<)، وهنا تحذف الحركة بعد الهمزة فتصبح (a>zu<)، ثم بعد حذف الهمزة (aazu<)، تتحول الهمزة إلى ياء فتصبح (yaazu)، وكذلك في العبرية، والسريانية، والجعزية ينظر (فرج، 2017م، الصفحات 59 – 60).

- الأصل في ثبات الواو مع الضمير:

ذكر أبو الفتح أنّ لفظة (عليهم) في قوله تعالى:﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: 5]، قُرئت «عليهُمُو»، ويرى أنّ ثبات الواو فيها هو الأصل؛ معلّلًا ذلك بقوله: (لأنها رَسِيلة عليهُما في التثنية؛ أعني: ثبات الواو كثبات الألف) (ابن جني ت 392هـ أ.، 1966 – 1969م، صفحة 1/ 44)، مضيفًا إلى تعليله، حجة أخرى هي إنّ الأصل فيه هو الاسم المضمر الهاء، ثُم زيدت عليها الميم؛ علامة لتجاوز الواحد من غير اختصاص بالجمع، ووجودها فيه مثل وجود الميم في التثنية: «عليهُما»، لكن الواو جاءت لإخلاص الجمعية ينظر: (ابن جني ت 392هـ أ.، 1966 – 1969م، صفحة 1/ 44).

أثبت الدرس التاريخي الحديث ثبات الواو مع الضمير في اللغات القديمة من أخوات العربية كالأكدية التي جاء فيها، بلفظ (šunu)، والسريانية بلفظ (henōn) وفي الاثيوبية بلفظ (m) ūntū ينظر (موسكاتي، آخرون، 1993م، صفحة 172)، وجاء في الإبلية بلفظ (ش ن و) بالشين، وفي المعينية (سُ ن و) بالسين، وفي الأغاريتية (هـ م و) (إسماعيل، 2000م، صفحة 196)، في حين حذفت أصوات المد الأخيرة غير المنبورة في الرقعة السامية الشمالية الغربية وفاقًا للقوانين الصوتية لتلك الرقعة

إلا بقايا قليلة في بعض السجلات الآرامية القديمة (hww) (موسكاتي، آخرون، 1993م، صفحة 178)، ولعل حركة المد الطويلة (الواو) في اللغة الأكدية جاءت حركة إعرابية بدليل أنّها تستعمل حرف (الياء – i) مع ضمائر النصب والجر كما في (šunūti) ينظر (موسكاتي، آخرون، 1993م، الصفحات 180 – 181)، وتظهر من نهايات الضمائر أنّها كانت معربة رفعً ونصبًا وجرًّا (إسماعيل، 2000م، صفحة 195).

– الأصل في جمع ما جاء على وزن فُعْلة:

يرى ابن جني أنّ الأصل في الجمع أن يكون خارج من بناء الواحد، ولابد أن يكون الفرع موجود في الأصل؛ فوزن فعْلة إذا بُني على التأنيث فإنّه يأخذ حكم المفرد المؤنث عند جمعه بالألف والتاء ينظر: (ابن جني ت 392هـ أ.، 1966 – 1969م، الصفحات 1/ 58 – 59)، ومذهب ابن جني في جمع ما جاء على وزن (فُعْلة، فِعْلة)، فيه ثلاث لغات، هي:

1 – إتباع الضم الضم، نحو: (ظُلْمة – ظُلُمات، وخُطْوة – خُطُوات، وكُلْية – كُلُيات، ومُدْية – مُدُيات).

2 – إتباع الكسر الكسر، نحو: (كِسْرة – كِسِرات).

3 – عدول ثانيه من الضم أو الكسر إلى الفتح أو السكون؛ إن وجد في الاتباع استثقالًا فتصبح:: (ظُلْمة – ظُلَمات أو ظُلْمات، وخُطْوة – خُطَوات أو خُطْوات، وكُلْية – كُلَيات أو كُلْيات، ومُدْية – مُدَيات أو مُدْيات، كِسْرة – كِسَرات أو كِسْرات)، وجميع هذه اللغات عنده جائزة ينظر: (ابن جني ت 392هـ أ.، 1966 – 1969م، صفحة 1/ 56)

أمّا ما جاء مفتوح الفاء من هذا البناء، أي: على وزن (فَعْلة)، نحو: ثَمْرة، تَمْرة، شَعْرة، ضَعْبة، خَذْلة، وما شابهها، فتجمع على التثقيل إتباعًا للفتح، فتصبح:

(ثَمَــرات، تَمَرات، شَــعَرات، ضَعَبات، خَذَلات) ينظر: (ابــن جني ت 392هـ أ.، 1966 – 1969م، صفحة 1/ 56).

ومما تقدم يظهر أنّ ابن جني عدّ الاختلاف في قراءة ما جاء بصيغ جمع على وزن (فعْلة) والمتحرك الفاء، من باب تعدد اللغات، وقد رأينا عند مقابلة اللغة العربية مع سائر اللغات السامية ولا سيما الغربية منها أنّ الجمع السائد للأسماء المؤنثة هو بالألف والتاء ينظر: (عمايرة، 2003م، صفحة 67)، مثل ما جاء في الحبشية (kalābt) ومعناها كلبة وجمعها (kalābāt) ينظر: (عمايرة، 2003م، صفحة 67)، وأنّ الفتحة الموجودة في ألفاظها مؤديــة لمعنى الجمع، ثم زيد بعدها الالف والتاء ينظر: (برجشــتراسر، صفحة 109)، وكان من شأن اللغات الســامية أن تؤنث بالتاء وحدها ((t من دون أن يفتح ما قبلها، وأمثلة هذه واسعة في اللغة الأكدية ومن شأنها أيضًا أن تؤنث بتاء مفتوح ما قبلها at، وقد تمدّ الحركة التي تسبق التاء بالضم كما في (لاهوت)، وقد تمدّ بالكسر كما في (medrītu) وتعني بالأمهرية (الأرض) (عمايره، 2003م، صفحة 57)

- الأصل مما فيه حرف حلقي بعد حرف مفتوح:

ذكــر أبو الفتح رأي المذهبين – البصري والكوفي – في قراءة مما فيه حرف حلقي ســاكن بعد حرف مفتوح وهما، كما موضّح في الآتي، ينظر (ابن جني ت 392هـ أ.، 1966 – 1969م، الصفحات 1/ 84 – 85):

– مذهب البصريين الذين ســمّاهم في كتابه المحتسب بـ (أصحابنا)، إنّهم ذهبوا في كل شيء مــن هذا النحو إلى أنّه لا يحــرك إلا على أنه لغة فيه؛ نحــو: (الزَّهْرة – والزَّهَرة)، (والنَّهْر والنهَر)، و (الشَّــعْر والشَّــعَر)، و (النشْــز والنشَز)، و (الحلْب والحلَب)، و (الطرْد والطرَد)، فهذه لغات عندهم.

– مذهب الكوفيين فيه أنّه يحــرك الثاني؛ لأنه حرفٌ حلقيٌّ، فيجيزون فيه الفتح وإن لم يسمعوه، نحو: (البحْر، والبحَر)، و (الصخْر، والصخَر)، ونراه يتفق مع رأي

الكوفيين بقوله: (ما أرى القول من بعـــد إلا معهم، والحق فيه إلا في أيديهم)؛ (ابن جني ت 392هـ أ.، 1966 – 1969م، صفحـــة 1/ 85)، وحجته التي ذكرها في كتابه المحتســـب أنّه ســـمعها من كثير: منهم عامة عُقَيل التي كانـــت تقول ذاك ولا تقف فيه سائغًا غير مستكره، وســـمع أيضًا عن الشجري الذي روى عنه، إنّه كان يقول: (أنا محَموم بفتح الحاء، وليس أحد يدعي أنّ في الكلام مفَعول بفتح الفاء وســـمعته مـــرة أخرى يقول – وقد قال لـــه الطبيب: مَصَّ التفـــاح وارم بثُفله: والله لقد كنت أبغي مصه وعِلْيَتُهُ تَغَذُو بفتح الغين، ولا أحد يدعى أنّ في الكلام يفَعَل بفتح الفاء)، وســـمع كذلك عن جماعة منهم – وقد قيل لهم: قد أقيمت لكم أَنزالكم من الخبز – قالـــوا: فاللحَم – يريدون: اللحْم – بفتح الحاء، وســـمع عن بعضهم وهو يقول في كلامه: ســـاروا نَحَوه بفتح الحاء ينظر: (ابن جني ت 392هـــ أ.، 1966 – 1969م، صفحة 1/ 85)، ثُمّ يعقب بعد ذكر حجته بالقول: (ولو كانت الحاء مبنية على الفتح أصلًا لما صحت الـــلام لتحركها وانفتاح ما قبلها؛ ألا تـــراك لا تقول: هذه عصَوٌ، ولا فتَوٌ، ثم نجده يختم قوله بقســـم: لعمري إنّه هو الأصل (ابن جني ت 392هـ أ.، 1966 – 1969م، صفحة 1/ 85)، وفي موضع آخر من الكتاب نفسه، يذكر إنّ أصل كل ما كان على فَعِل وثانيه حرف حلقـــي فله أربع لغات، نحو: نِعْم الرجل ونحوه نَعِمَ كعَلِمَ، ونحو: فخِذ، ومَحِك، ونَغِر، هي:

1 – فتح اللام وكسر الثاني على الأصل.

2 – تسكين الثاني والأول على فتحه، فنقول: فَخْذ، ومَحْك، ونَغْر.

3 – تسكين الثاني، ونقل الكسرة إلى الأول، فنقول: فِخْذ، ومِحْك، ونِغْر.

4 – إتباع الكسر الكسر، فنقول: فِخِذ، ومِحِك، ونِغِر ينظر: (ابن جني ت 392هـ أ.، 1966 – 1969م، صفحة 1/ 356).

أثبتت الدراســـات الموازنة مع اللغات الســـامية ما ذكره ابن جني في أنّ الأفعال

في أغلــب هذه اللغات، تميل فيها الأصوات الحلقية إلى الفتح، وكُثر ذلك في اللغتين العبرية والسريانية حتى أصبحت ظاهرة ســمّيت بـ(الفتحة المختلســة)، هي فتحة بلفظ قبل الحرف الحلقي إذا كان عينه أو لامه صوتًا حلقيًا، فكثيرًا ما وجدنا في هذه اللغات من تحــول حركة العين من الضم أو الكسر إلى الفتــح مما كان عينه أو لامه حرفًا حلقيًا (فــرج د.، 2017م، الصفحات 71 – 72)، ولم يقتصر ذلك على الأفعال مما جاء عينها من الحــروف الحلقية بل حتى الأفعال المعتلــة الآخر كما في الاكدية، والسريانية، جاءت مفتوحــة العين، ولم يكن عينها من الحروف الحلقية ينظر: (فرج د.، 2011م، صفحة 56).

- الأصل في وزن طاغوت وما أشبهها:

عــدّ ابن جني من قرأ لفظــة (الطاغوت) في قوله تعالى: ﴿أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ﴾ [البقــرة: 257] بالطواغيت، إنّها فيها صنعــة، ويحتاج إلى الفهم ينظر: (ابن جني ت 392هـ أ.، 1966 – 1969م، صفحة 1/ 131)، ويرى أنّ الأصل في وزنها هو فَعَلُوت، وهي مصدر بمنزلــة الرغَبوت، والرهَبوت، والرحَموت، وقد يقال فيها: الرَّغَبُوتَى، والرهبوتى، والرحموتــى، ودليله على أنّها في الأصل مصــدر وقوع الطاغوت على الواحــد والجماعة ينظر: (ابن جني ت 392هـ أ.، 1966 – 1969م، صفحة 1/ 131)، وجاءت لفظة (الطاغوت) بحســب ما ذكره ابن جني في هــذه القراءة مقلوبة، إلا أنّه حــذق في تقديمها وتتبعها صرفيًّا حين قال: (وزنــه فلعوت من طغيت، وقالوا أيضًا: طغوت، وقولهم: طغيان دليل عــلى أنّ اللام ياء، فأصله إذا طغيوت، مصدر كالرغبوت، والرهبوت، والملكوت، ثم قدمت اللام على العين، فصارت طيغوت، ثم قلبــت الياء – لتحركها وانفتاح ما قبلها ألفا – فصارت طاغوت، وكان قياســه إذا كــسر أن يقال: طياغيت، إلا أنــه ينبغي أن يكون الطواغيــت جاء على لغة من قال: طغوت، ومثــال طواغيت – على ما ترى – فلاعيت) (ابن جني ت 392هـ أ.،

1966 – 1969م، صفحة 2/ 236)، ومثلها سواء كلمة (الحانوت)، التي في الأصل حنووت، ووزنها (فَعَلوت) من حنوت؛ لأنّ الحانوت يحنو على ما فيه، ثم قُدمت اللام على العين، فصارت (حونوت)، ثم انقلبت الواو فيها إلى ألف كما انقلبت في (طوغوت)، فصارت (حانوت)، ووزنها (فَلعُوت)، وعليه قالوا في جمع تكسيرها: حوانيت، ووزنه فلاعيت، ينظر: (ابن جني ت 392هـ أ.، 1966 – 1969م، صفحة 2/ 236).

تعدّ لفظة (طاغوت) من المشتركات السامية بين العربية وأخواتها الذي يقع في الواحد والجمع والمذكر والمؤنث (السامرائي، 1985م، صفحة 147)؛ لذا هو مصدر سامي قديم له نظائر في سائر هذه اللغات غير أن بعضهم يعدّه ليس أصيلا في العربية، وإن جاء منه ملكوت، وجبروت، ورهبوت، ورحموت، وغيرها ينظر: (السامرائي، 1985م، صفحة 157)، ووزنه (فَعَلوت) يكاد يكون من الأوزان الشائعة في معظم اللغات السامية ينظر: (إسماعيل، 2000م، صفحة 253)، وجد (فَعَلوت) في السريانية مثل (م ل كُ و ت ا بمعنى ملكوت)، وفي العبرية (حِ رُ و ت بمعنى حرية)، و (مَ لْ كُ و ت بمعنى ملكية)، وفي الاكدية (أ بُ و تُ (م) بمعنى أبوة)، و (أ شُ و ت (م) بمعنى زوجية)، و (رَ بُ و تُ (م) بمعنى عظمة) وهي أسماء ومعانٍ (إسماعيل، 2000م، صفحة 255)، وكذلك لفظة (ساحوت) في اللغة السريانية بمعنى البرذون وهو الأكول الذي لا يشبع (السامرائي، 1985م، صفحة 166)، و (ناسوت) مصدر (بمعنى الناس) يقابل اللاهوت – أي الألوهية – (السامرائي، 1985م، صفحة 159) وأيضًا (عفريت، و نفريت) اللتان يرى الباحثون المحدثون أنّهما من آثار احتكاك العربية باللغات السامية الشمالية ولاسيما الآرامية، ويرجح علماء الساميات أنّ أوزانها مشتقة من الوزن نفسه ينظر (عمايره، 2003م، صفحة 55).

- الأصل في تخفيف الهمز:

يرد ابن جني على من قرأ كلمة (جُزْءًا) في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا﴾ [البقرة:260]، (جُزًّا) من دون همز، إنّ الأصل فيها الهمز، غير أنّ الهمزة في هذه القراءة خففت مثل قولنا في تخفيف الخبء: الخبُ، ثم يوجه كلامه للقارئ في حال أراد تخفيف نحو ذلك، والوقوف عليه فلا بد عليه السكون، وإن يشاء إشمام الجزُ أو روم حركة الجزُ، وإن يشاء التشديد، فيقول على هذا: الجُزَّ. ينظر: (ابن جني ت 392هـ أ.، 1966 – 1969م، صفحة 1/ 137)، هذا ومن تخفيف الهمزة في القراءات القرآنية التي ذكرها ابن جني في كتابه المحتسب قراءة كلمة «سوْءَتِهما» في قوله تعالى: ﴿مَا وُۥرِيَ عَنهُمَا مِن سَوءَٰتِهِمَا﴾[الأعراف: 20]، الذي يرى أنّ الوجه في تخفيفها، وتخفيف مانحوها، أن تحذف الهمزة وتلقى حركتها على الواو قبلها، فتقول في تخفيف نحو السوءة: السَّوَة، وفي تخفيف الجيئة: الجيَة، ومنهم من يقول: السَّوَّة، والجَيَّة، ينظر: (ابن جني ت 392هـ أ.، 1966 – 1969م، صفحة 1/ 243) ومن ذلك قراءة قوله تعالى في الآيات الكريمة.

تخفيف الهمزة ورد كثيرًا في بعض كلمات اللغات السامية إذ إنّها لا تنطق بعض الأحيان إذا جاءت في وسط الكلمة أو في آخرها، على الرغم من وجود رمزها في الكتابة، مثال ذلك: في العبرية (rōš بمعنى رأس، ābār بمعنى برأ)، وفي الآرامية (ābīr بمعنى بئر، و ḥtā بمعنى خطأ)، ونجدها تنطق في هاتين اللغتين أحيانًا أخرى، في مثل ذلك: في العبرية (lšā'a بمعنى سأل)، وفي الآرامية 'eḳā (m بمعنى قائم)، في العبرية والآرامية تخفف في غير أول الكلمة، فإذا كانت الهمزة في العبرية في مثل: al 'āḵ بمعنى أَكَل، و āsar' بمعنى أسر)، وفي الآرامية في مثل: (nā è بمعنى أنا، و ' arb > ā بمعنى أربعة)، وفي كلمات كثيرة من هاتين اللغتين (عبد التواب، 1985م، الصفحات 223 – 224).

- الأصل في قراءة ما جاء على وزن فَيْعل:

يرى ابن جني أنّ من قرأ كلمة (الغائط) في قوله تعالى: ﴿أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ﴾ [النساء:43] بـ (غَيْط)، إنّه فيه صنعة، وهذا مما عينه واو؛ لقولهم تغوَّط الرجل: إذا أتى الغائط، وظاهر أمر (غَيْط) أنّه فَعْل مما عينه ياء، بمنزلة شيخ وبيت، وأمثل ما ينبغي أن يقال فيه: إنّه محذوف من فَيْعِل، كأنّه في الأصل غيِّط كميت وسيد، ثم حذفت عينه تخفيفًا فبقي مَيْت وسيْد، ومثاله قَيْل؛ لأنّ العين محذوفة ينظر: (ابن جني ت 392هـ أ.، 1966 – 1969م، صفحة 1/ 190) وقراءة قوله تعالى: ﴿سَيْغٌ شَرَابُهُۥ﴾ [فاطر: 12]، هو محذوف الياء من سَيِّغ، فصار على وزن: فَيْعِلٍ، بمنزلة مَيْتٍ من مَيِّتٍ، وهَيْنٍ من هَيِّنٍ، وعينه واو، وأصله سَيْوِغ، كمَيْوِت في الأصل، ودليله على كون عينه واوًا، قولهم: هذا أسوغ من هذا، وقولهم: هي أُخته سَوْغَةً، وسَوَّغْتُه، أي: يَسُوغ لها وتَسُوغ له، أي: يَقْبلها طبعه، ويقبله طبعها. فأما قول الله تعالى: ﴿يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ﴾ [إبراهيم: 17]، فلا دلالة فيه على كون العين واوًا؛ وذلك لأنّه في الأصل يسوغه، كما أنّ أصل يقيم – يقوم، ويستعين – يستعون ينظر: (ابن جني ت 392هـ أ.، 1966 – 1969م، صفحة 2/ 199) وهذا الذي عدّه ابن جني صنعة، نقول فيه: هي سلسلة من التطورات اللغوية، التي تعرضت لها أفعال الجوف في اللغات القديمة إلى أن وصلت إلى مرحلة الضمة الطويلة الخالصة أو الكسرة الطويلة الخالصة، ودليلنا هو ما جاء في اللغات منها الأكدية، والأشورية، والسريانية، والآرامية، والحبشية التي وافقت أفعالها كثير من الاستعمالات التي جاءت في اللغة العربية ينظر: (فرج، 2017م، صفحة 80).

- الأصل في لمّا:

ذهب ابن جني إلى أنّ أصل (لمّا) هو (لم)، زيدت عليها ما، فصارت نفيا، لقوله: قد كان كذا، و (لم) لنفي الفعل في قول: قام زيد، فيرد المجيب بالنفي: لم يقم، فإن

قــال: قد قام، نقول له: لما يقم؛ وذلك لأنّه لما زاد في الإثبات (قد) – زدنا له في النفي بـ ما، إلا أنّهم لما ركبوا (لم) مع (ما) – فأصبحت (لمّا) لفظًا مســتقلًا له معنى ولفظ، فصــار لها معنى فضلًا عن معنى النفي في بعض المواضع ظرفا، فقالوا فيها: لما قمت قــام زيد، أي: وقت قيامك قام زيد ينظر: (ابن جني ت 392هـ أ.، 1966 – 1969م، صفحة 2/ 312)، رجح الباحثون في اللغات القديمة عبر الدراسات التأريخية الموازنة التي قدموها أقدمية (لم) في النفي على (لما) ينظر (بعلبكي، 1999م، الصفحات 250 – 251)، وأنّ الأصــل في (لمّا)، هو (لم) ضمّت إليها (مــا) ثانية، فصارت: لمَّا ينظر: (برجشتراسر، صفحة 169).

الأصل في قراءة الفعل المضارع المسبوق بلام الأمر:

علّق ابن جني على من قراءة كلمة (فليفرحوا)، في قوله تعالى: ﴿فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ﴾ [يونس: 58] وقوله تعالى: ﴿وَلۡتَعۡفُوا وَلۡتَصۡفَحُوا﴾ [النور: 22]، بالتاء وروي عنه بالياء، ويرى أنّ قراءة «فافرحوا» فلا تحتاج إلى تدبر وتفكر فيها؛ لكن «فليفرحوا» بالتاء خرجت عن أصلها؛ ويرى أنّ أصل الأمر أن يكون بحرف الأمر وهو الــلام، فأصل اضرب عنده هو لتضرب، وأصــل قم لتقم، كما تقول للغائب: ليقم زيد، ولتــضرب هند؛ وحجته هي إنّه لما كثر أمر الحاضر نحو: قمْ، واقعــدْ، وادخلْ، واخرجْ، وخذْ، ودعْ؛ حذفوا حــرف المضارعة تخفيفًا، وبقي ما بعده، ودلَّ حاضر الحال عــلى أنّ المأمور هو الحاضر المخاطب، فلما حذف حرف المضارعة بقي ما بعده في أكثر الأمر ساكنًا؛ فاحتيج إلى همزة الوصل ليقع الابتداء بهــا، فقيل: اضرب، اذهب، ونحو ذلك، فإن قيل: ولِمَ كان أمر الحاضر أكثر حتى دعت الحــال إلى تخفيفه لكثرته ينظر: (ابن جنــي ت 392هـ أ.، 1966 – 1969م، صفحــة 1/ 313)، وفي موضع آخر من كتابه يؤكد أنّ هــذه القراءة هي الأصل، إلا أنــه أصل مرفوض، ووجه الرفض فيها، اســتغناءً عنها بصيغة الأمر من دون

لام الأمر، والاكتفاء بقولهم: اعفوا واصفحوا وافرحوا، ويرى أنّه لا وجه لإعادة القراءة على الأصل (ابن جنـــي ت 392هـ أ.، 1966 – 1969م، صفحة 2/ 106)، وينتقل في موضع آخر من كتابه في الحديث عن الأصل في حركة لام الأمر، بقوله: (هذا لعمري الأصل في لام الأمر: أن تكون مكســـورة، إلا أنّهم أقروا إســـكانها تخفيفًـــا، وإذا كانوا يقولون: مُرْه فلْيَقُمْ، فيســـكنونها مع قلة الحروف والحركات، فإســـكانها مع كثرة الحروف والحـــركات أمثل، وتلك حالها في قولـــه: ﴿فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُـــونَ﴾، لا ســـيما وقبلها كسرة الهاء، فاعرف ذلك، فإنّ مصارفة الألفاظ باب معتمد في الاســـتثقال والاســـتخفاف) (ابن جني ت 392هـ أ.، 1966 – 1969م، صفحة 1/ 359).

لم يـــرد الفعل الأمر في اللغـــات القديمة من أخوات العربيـــة بصيغة خاصة به، بل جاء مشـــتقًا من صيغة الأفعال وليس هو أصـــل بذاته (فرج د.، 2017م، صفحة 119)، إذ جـــاءت الأفعال المضارعة في أقدم نصـــوص اللغة الأكدية دالًا على الأمر حينما تتصل به لام الأمر إذ وردت فيها مكسورة ينظر: (فرج د.، 2011م، الصفحات 133 – 134).

- الأصل في كلمة كذب:

علّق ابن جنـــي على قراءة كلمة (كذب)، بالدال في قوله تعالى: ﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ [يوسف: 8]، إذ يقول فيها: (أصل هذا من الكَدَب؛ وهو الفُوفُ؛ يعني: البياض الذي يخرج على أظفـــار الأحداث فكأنه دم قد أثَّر في قميصه فلحقته أعراض كالنقش عليه) (ابن جني ت 392هـ أ.، 1966 – 1969م، صفحة 1/ 335)، كأنّ ابـــن جني في قوله هذا قد اقترب إلى معنى العام للكلمة على الرغم من اختلاف ألفاظها في اللغات السامية التي تأرجحت ما بين (ذ، د، ز) وهذا أمر طبيعي، فإبدال الأصوات المتقاربة المخرج جائـــز فيها، ووجدناها في العبرية بلفظ (kāzaḇ)، وفي الآرامية

(kdaḇ كزاب)، وفي السريانية (kaḏeḇ ك د ب بمعنى كَذَب) معجم مفردات المشترك السامي (كمال الدين، 2007م، صفحة 327)، وفي الأكدية (ك ز ا بُ م)، بمعنى (أحسن، جامل، داهن) وفي المندائية كَ دَ بَ: بمعنى كذب، والمعنى العام لها جميعًا، هو: الزيف ينظر: (إسماعيل علي، 2009م، صفحة 451).

- الأصل في كأي:

يرى ابن جني أنّ الأصل في لفظة (كأَيّ)، التي جاءت في قوله تعالى: ﴿وكَأَيِّن من قرية﴾ [محمد: 13]، هي (أيّ) دخلت عليها كاف الجر، إلا أنّها قرئت بقراءات مختلفة، منها: (كأَيّ، وكاءٍ، وكأْي، وَكَاءٍ)، وعدّ هذه لغات منها، و (أي) فيها بمعنى (كم) دخلت عليها كاف الجر، فحدث لها من بعد معنى (كم)، ويرى أنّ لكاف الجارة حديث طويل في دخولها على أي وفيها معنى التشبيه، وفي دخولها عارية من التشبيه، نحو: كأنّ زيدًا عمرو، وله كذا وكذا درهمًا، وكأَيٍّ من رجل، ثم يعقب في حديثه إنّها لما كثر استعمالها تلعبت بها العرب فكثر تصرفها كأشياء، فقَدَّمت الياء المشددة على الهمزة فصارت كَيَّأٍ بوزن كَيَّع (ابن جني ت 392هـ أ.، 1966 – 1969م، صفحة 1/ 170)، كاف التشبيه مشتركة في اللغات السامية، وجاءت في معظمها، بوصفها حرف جر (ك) منها، (الأكدية بلفظ kī)، و (الاوغاريتية بلفظ k)، و (العبرية بلفظ kə)، و (السريانية بلفظ k’a)، و (الاثيوبية بلفظ kama) (موسكاتي، آخرون، 1993م، صفحة 206)، وكذلك (أي)، ينظر: (إسماعيل علي، 2009م، صفحة 447)، يسأل بها ويستفهم ينظر: (كمال، 1963م، صفحة 110)، وردت لفظة (ك أ ي) في اللغة الأكدية بمعنى (كأين) ينظر: (إسماعيل، معجم النظار العربية لأصول الأكدية، 2005م، صفحة 206)، في نصوص منها بلفظ (ayiki’am) ووردت فيها للاستفهام قليلا ونادرًا ينظر: (القيسي، 2014م).

الخاتمة:

بعد البحث والتأمل في كتاب المحتسب لابن جني توصلت إلى أهم النتائج من أهمها:

1 – إنّ أغلب القراءات القرآنية الشاذة يمكن عدّها لغات نابعة من اللغة العربية، ويمكن الاستعانة بها في الدراسات اللغوية.

2 – إنّ ابن جني على إدراك تام في تطور اللغات وتغيرها؛ يتبين ذلك عبر كشفه للقوانين التي تحكم تغير اللغة، ومحاولة في تفسير هذا التغير.

3 – إنّ الأصل اللغوي هو الأساس الذي انطلق منه ابن جني، واستعانة به في دعم حججه لإيضاح القراءات الشاذة.

4 – إنّ الأصول اللغوية التي تحدث عنها ابن جني في كتاب المحتسب تتماثل إلى حدٍّ كبير مع ما جاء في اللغات القديمة.

5 – إنّ التماثل بين الأصول اللغوية في كتاب المحتسب لابن جني والأصول اللغوية التي نقلتها لنا اللغات السامية هو سند تأريخي على أصالة اللغة العربية وفرعية اللغات السامية الأخرى.

6 – إنّ المراجع العربية القديمة تعد مادة ثريّة يستمد منها فقه اللغة المقارن في الدراسات التي تحاول الوصول إلى وحدة الأصل بين الفصائل اللغوية المتعددة.

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.
- إبراهيم حسين القيسي. (8، 2014م). الوصف المشتق غير العامل في اللغة الأكدية دراسة مقارنة مع اللغة العربية. أطروحة دكتوراه، صفحة 151.
- أبو الفتح عثمان الموصلي ابن جني ت 392هـ. (بلا تاريخ). الخصائص. مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- أبو الفتح ت 392هـ ابن جني. (2000م). سر صناعة الإعراب. بيروت – لبنان: دار الكتب العلمية.
- أبو الفتح عثمان الموصلي ابن جني ت 392هـ. (1966 – 1969م). المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والايضاح فيها. (عبد الفتاح اسماعيل شلبي علي النجدي، المحرر) مصر: وزارة الاوقاف – المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية.
- برجشتراسر. (بلا تاريخ). التطور النحوي للغة العربية. (د. رمضان عبد التواب، المترجمون) القاهرة: مكتبة الخانجي – دار الرفاعي.
- د. إسماعيل أحمد عمايره. (2003م). دراسات لغوية مقارنة (الإصدار الاولى). عمان – الاردن: دار وائل للنشر.
- د. حازم علي كمال الدين. (2007م). معجم المشترك السامي في اللغة العربية. القاهرة: مكتبة الآداب.
- د. خالد إسماعيل. (2000م). فقه لغات العاربة المقارن مسائل وأراء. أربد – الأردن.
- د. خالد إسماعيل. (2005م). معجم النظار العربية لأصول الأكدية. بغداد: مكتب سناريا.
- د. خالد إسماعيل علي. (2009م). القاموس المقارن لألفاظ القرأن الكريم. بيروت: مؤسسة البديل و دار المتقين.
- د. ربحي كمال. (1963م). دروس اللغة العبرية. بيروت: دار العلم للملايين.
- د. رمزي منير بعلبكي. (1999م). فقه العربية المقارن دراسات في أصوات العربية وصرفها ونحوها على ضوء اللغات السامية. بيروت – لبنان: دار العلم للملايين.

- د. رمضان عبد التواب. (1985م). المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي. القاهرة: مكتبة الخانجي.
- د. ليـــلى علي فرج. (2011م). الفعل المضارع في ضوء دراســـة اللغـــات الجزرية. بغداد – العراق: رسالة ماجستير جامعة بغداد – كلية التربية للبنات.
- د. ليلى علي فرج. (2017م). الخلاف اللغوي في ضوء دراســـة لهجات شبه الجزيرة العربية. بغداد – العراق: أطروحة دكتوراه جامعة بغداد – كلية التربية للبنات.
- سباتينو موسكاتي، آخرون. (1993م). مدخل إلى نحو اللغات السامية المقارن (الطبعة 1)، (ترجمة: مهدي المخزومي – د. عبد الجبار المطلبي) بيروت – لبنان: عالم الكتب.